9405

سلسلة قصص مشرقية

شجاعة حامل الأمانة

زكريا كايا

دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع

دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

12
هـ

وزارة الثقافة
المكتبة العمومية للأطفال بالقلعة الكبرى
المندوبية الجهوية للثقافة بسوسة

شَجَاعةُ حامِلِ الأَمانَةِ

وزارة الثقافة
الإدارة الفنية للكتاب والمطالعة

فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ، إِبَّانَ غَزْوِ الإِفْرَنْجَةِ لِبِلَادِ الْمَشْرِقِ، كَانَ يُقِيمُ فِي مَدِينَةِ صُورَ الوَاقِعَةِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الْمُتَوَسِّطِ، شَابٌّ وَسِيمُ الطَّلْعَةِ قَوِيُّ الْبُنْيَةِ اسْمُهُ [عِيسَى العَوَّام] اشْتُهِرَ بَيْنَ رِفَاقِهِ وَأَهْلِ مَدِينَتِهِ بِالشَّجَاعَةِ وَسُمُوِّ النَّفْسِ.

وَكَانَ عِيسَى سَبَّاحاً مَاهِراً ذا صَبْرٍ وَجَلَدٍ، يَسْتَطِيعُ السِّبَاحَةَ مَسَافَاتٍ بَعِيدَةً دُونَ أَنْ يَنَالَ مِنْهُ التَّعَبُ، وَلِذَلِكَ أَطْلَقَ عَلَيْهِ مُوَاطِنُوهُ نَعْتَ [العَوَّامُ] احْتِرَاماً وَتَقْدِيراً.

كَانَ عِيسَى يَمْتَهِنُ صَيْدَ السَّمَكِ. يَخْرُجُ مَعَ رِفَاقِهِ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى البَحْرِ سَعْياً وَرَاءَ الرِّزْقِ، فَيُوغِلُ بَعِيداً بِزَوْرَقِهِ فِي الْبَحْرِ غَيْرَ مُبَالٍ بِالأَخْطَارِ التِي تَتَهَدَّدُهُ فَيُلْقِي شِبَاكَهُ فِي الْمِيَاهِ الْعَمِيقَةِ طَمَعاً بِالْفَوْزِ بِأَفْضَلِ صَيْدٍ وَأَثْمَنِهُ.

وَكَثِيراً مَا كَانَ عِيسَى، بَعْدَ أَنْ يَنْشُرَ شِبَاكَهُ عَلَى رِمَالِ السَّاحِلِ بَعْدَ أَنْ يُنَظِّفَهَا مِنَ الطَّحَالِبِ العَالِقَةِ بِهَا، يَجْلِسُ إِلَى رِفَاقِهِ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الأَحْوَالِ العَصِيبَةِ الَّتِي تَمُرُّ بِهَا الْبِلَادُ، وَالصِّرَاعِ الَّذِي يَدُورُ بَيْنَ جُيُوشِ الْعَرَبِ بِقِيَادَةِ صَلَاحِ الدِّينِ وَبَيْنَ جُيُوشِ الإِفْرَنْجَةِ. وَكَانَتِ

الحَماسَةُ تَسْتَبِدُّ بِعِيسَى فَيَكِيلُ الشَّتَائِمَ وَيَصُبُّ اللَّعَنَاتِ عَلَى الْغُزَاةِ الْقَادِمِينَ مِنْ أَقَاصِي الدُّنْيَا إِلَى بِلَادِهِ، طَمَعاً فِي احْتِلَالِهَا وَنَهْبِ خَيْرَاتِهَا.

وَكَانَ يَعْتَمِلُ فِي صَدْرِ عِيسَى تَوْقٌ شَدِيدٌ إِلَى الْمُسَاهَمَةِ بِقِسْطِهِ فِي الْمَعْرَكَةِ الدَّائِرَةِ، وَيَنْتَهِي إِلَى الْقَوْلِ وَهُوَ يَقْرَعُ صَدْرَهُ بِجُمْعِ أَصَابِعِهِ:

- «أَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ يَا رَبِّي! أَنْ تُقَدِّرَنِي عَلَى الإِسْهَامِ بِقِسْطِي مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ بِلَادِي، وَإِنْ كُنْتُ صَيَّاداً بَسِيطاً لَا أُجِيدُ فُنُونَ الْحَرْبِ وَالْقِتَالِ . . .».

ثُمَّ يَشْهَقُ حَسْرَةً تَكَادُ تَفْطِرُ كَبِدَهُ، فَيَنْظُرُ إِلَيْهِ رِفَاقُهُ بِكَثِيرٍ مِنَ الْوَجَلِ وَالاحْتِرَامِ، وَقَدْ كَانُوا عَلَى مُخْتَلَفِ الْمِلَلِ وَالْمَذَاهِبِ يَجْمَعُهُم حُبُّ الْوَطَنِ وَالاسْتِعْدَادُ لِلذَّوْدِ عَنْ أَرْضِهِ.

فِي تِلْكَ الأَثْنَاءِ، كَانَتِ الْمَعْرَكَةُ عَلَى أَشُدِّهَا تَدُورُ رُحَاهَا عَلَى رُقْعَةٍ وَاسِعَةٍ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ، وَكَانَ الْقَائِدُ الْكَبِيرُ [صَلاحُ الدِّينِ] لَا يَهْدَأُ وَهُوَ يَبْذُلُ أَقْصَى مَا يَسْتَطِيعُ لِيَدْفَعَ عَنْهُ الْمِحْنَةَ الْعَصِيبَةَ، فَكَانَ يَتَنَقَّلُ مِنْ مَوْقِعٍ إِلَى مَوْقِعٍ، يَتَفَقَّدُهُ وَيَحُثُّ الرِّجَالَ عَلَى الاسْتِبْسَالِ فِي الْقِتَالِ وَالصُّمُودِ. وَلَكِنَّ ضَغْطَ الإِفْرَنْجَةِ كَانَ كَبِيراً وَإِمْدَادَاتُهُمُ الْكَبِيرَةُ الْقَادِمَةُ مِنَ الْبَحْرِ كَانَتْ تَتَوَالَى مَوْجَةً إِثْرَ مَوْجَةٍ، مِمَّا اضْطُرَّ [صَلاحَ الدِّينِ] إِلَى التَّقَهْقُرِ وَالتَّرَاجُعِ مِنْ مَرَاكِزَ كَثِيرَةٍ. وَبِوُصُولِ مَلِكِ إِنْكِلْتَرا [رِيتْشَارد] الَّذِي نُعِتَ بِقَلْبِ الأَسَدِ، عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ كَبِيرَةٍ،

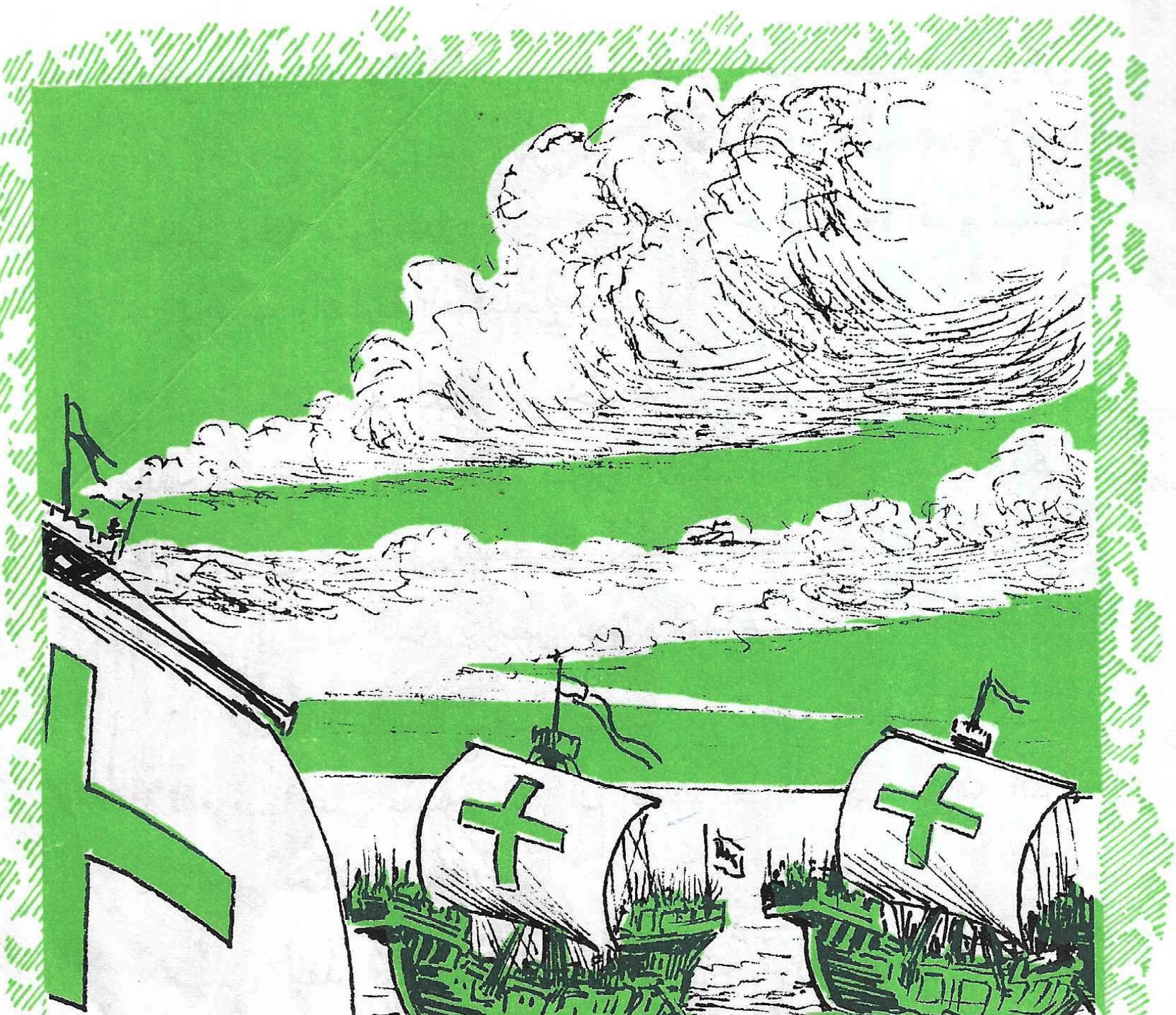

تمكَّنَ الإفْرَنْجَةُ مِنْ فَرْضِ حِصارٍ قاسٍ عَلى عَكّا. وَلَمْ يَكُنْ أَمامَ [صَلاحِ الدِّينِ] غَيْرُ التَّراجُعِ وَمُراقَبَةِ عَكّا المُجاهِدَةِ وَهِيَ تَسْتَقْبِلُ تِلْكَ القُوَّةَ العارِمَةَ مِنْ كَثَبٍ، وَلا حَوْلَ لَهُ وَلا قُوَّةَ تُمَكِّنُهُ مِنْ نَجْدَتِها وَأَهالِيها الصّامِدِينَ.

قَبَعَ القائِدُ الْكَبِيرُ فِي خَيْمَتِهِ أَيّاماً وَحِيداً لا يَأْذَنُ لِأَحَدٍ بِالدُّخُولِ عَلَيْهِ، وَقَدْ غَلَبَتْهُ مَرارَةُ الانْكِسارِ، وَراحَ يَشْحَذُ فِكْرَهُ عَلَّهُ يَهْتَدِي إِلَى حَلٍّ لِلْمُعْضِلَةِ الْكُبْرى وَيُنْقِذُ سُكّانَ عَكّا مِنَ الْمَصِيرِ الرَّهِيبِ الَّذِي يَتَرَبَّصُ بِهِمْ وَيَتَهَدَّدُهُمْ.

كانَتِ السّاعاتُ تَمْضِي عَصِيبَةً وَ[صَلاحُ الدِّينِ] فِي عُزْلَةٍ تامَّةٍ فَرَضَها عَلى نَفْسِهِ، إِلَى أَنِ اقْتَحَمَ خَيْمَتَهُ أَحَدُ قادَتِهِ الَّذِي قالَ بَعْدَ انْحِناءَةٍ بَسِيطَةٍ:

- سَيِّدِي! لَقَدْ حَلَّتْ بِأَهالِي عَكّا كارِثَةٌ مُرَوِّعَةٌ وَأَلْسِنَةُ النِّيرانِ تُشاهَدُ مِنْ هُهُنا، وَقَدْ وَصَلَ لِلتَّوِّ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ الْمُدافِعِينَ عَنْ عَكّا، بَعْدَما تَمَكَّنَ مِنِ اجْتِيازِ حَواجِزِ العَدُوِّ، وَهُوَ الآنَ يَطْلُبُ الإِذْنَ لِلْمُثُولِ بَيْنَ يَدَيْكُم حامِلاً إِلَيْكُم رِسالَةً هامَّةً.

انْتَفَضَ [صَلاحُ الدِّينِ] كَالنَّمِرِ الْجَرِيحِ وَهَتَفَ:

- أَدْخِلِ الرَّسُولَ فِي الحالِ! إِنَّ حالَةَ هَؤُلاءِ الأَبْطالِ تُقْلِقُنِي وَتَقُضُّ مَضْجَعِي...

دَخَلَ الرَّسُولُ القادِمُ مِنْ عَكّا الْمُحاصَرَةِ وَهُوَ عَلى آخِرِ رَمَقٍ مِنَ الْحَياةِ، قَدْ أَضْناهُ التَّعَبُ وَأَنْهَكَ الطَّرِيقُ الشّاقُّ قُواهُ

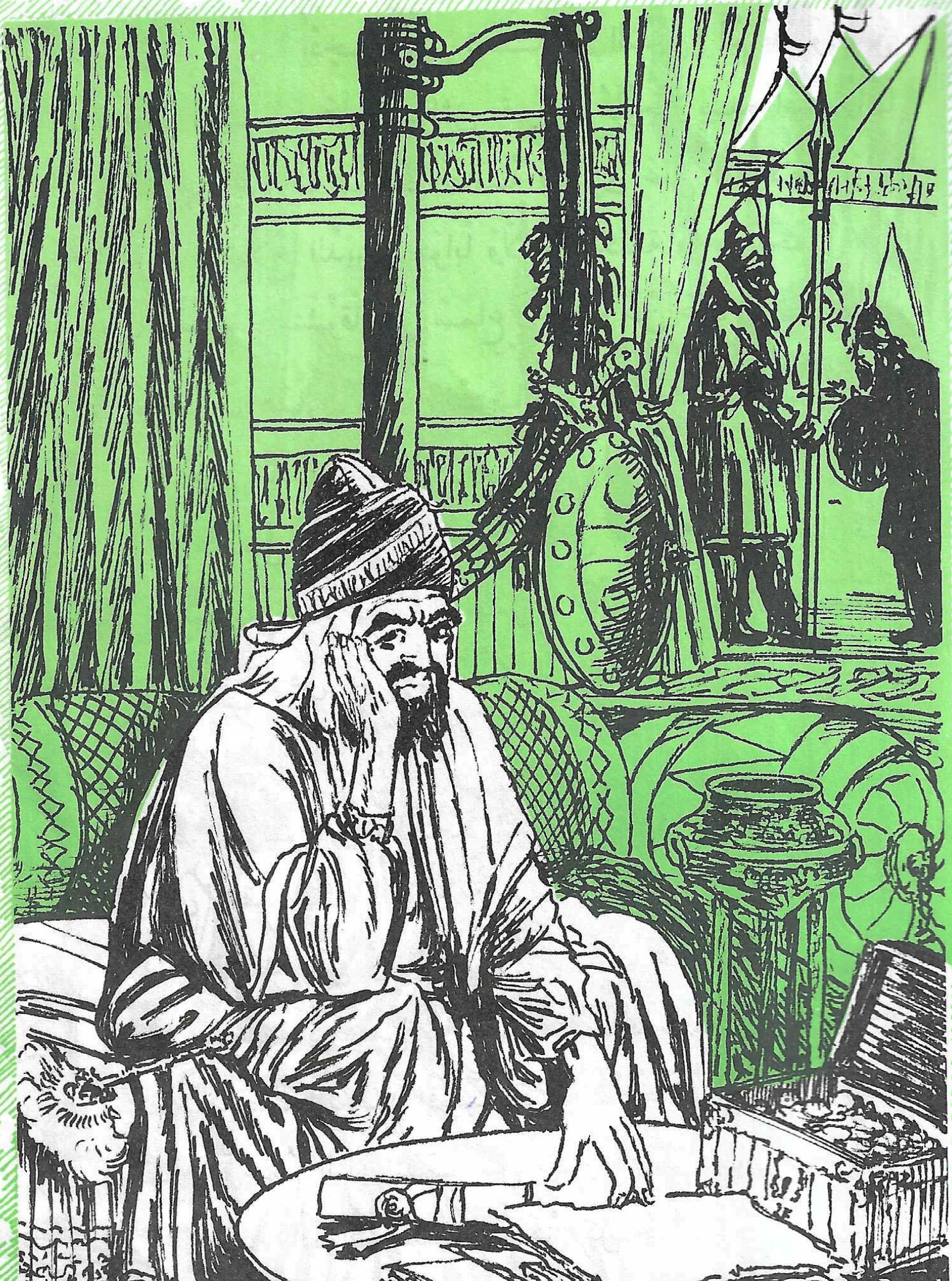

فَهُوَ، بِبَالِغِ الصُّعُوبَةِ، أَمْكَنَهُ اخْتِرَاقُ صُفُوفِ الْعَدُوِّ وَكَمَائِنِهِ وَدَوْرِيَّاتِهِ، فَلَمَّا أُدْخِلَ عَلَى [صَلَاحِ الدِّينِ] لَمْ يَقْوَ عَلَى الْوُقُوفِ، وَتَهَالَكَ عَلَى فِرَاشٍ قَرِيبٍ مُلَوِّحاً بِيَدِهِ اسْتِئْذَاناً لِهُنَيْهَاتٍ مِنَ الرَّاحَةِ لِيَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ فَيَقْوَى عَلَى الْكَلَامِ. وَلَمْ يَحِرِ الْقَائِدُ [صَلَاحُ الدِّينِ] جَوَاباً وَلَا فَاهَ بِكَلِمَةٍ وَأَخَذَ يُحَمْلِقُ فِي الرَّسُولِ الْمُنْهَكِ مُتَشَوِّقاً إِلَى سَمَاعِ أَخْبَارِهِ عَنْ عَكَّا...

وَبَعْدَ أَنْ هَدَأَ الرَّسُولُ وَاسْتَعَادَ قِوَاهُ، سَأَلَهُ الْقَائِدُ الْكَبِيرُ وَقَدْ رَسَمَ عَلَى شَفَتَيْهِ ابْتِسَامَةً:

- «مَا وَرَاءَكَ مِنْ أَخْبَارٍ؟ فَنَحْنُ لَسْنَا فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِنَا حَتَّى تُسْرِعَ إِلَيْنَا إِلَى حَدِّ قَطْعِ الْأَنْفَاسِ، فَالْحَرْبُ سِجَالٌ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْعَدُوِّ، وَهِيَ كَرٌّ وَفَرٌّ وَانْكِسَارٌ وَغَلَبَةٌ، وَلَا يَفُوزُ بِالنَّصْرِ إِلَّا الصَّابِرُونَ الْمُجَاهِدُونَ».

نَهَضَ الرَّسُولُ وَقَدِ اسْتَعَادَ شَيْئاً مِنْ عَافِيَتِهِ وَقَالَ:

- «مَوْلَايَ! لَقَدْ حَلَّتِ الْكَارِثَةُ الْمُرَوِّعَةُ بِأَهْلِنَا فِي عَكَّا، رَغْمَ حَمَاسَةِ الْمُدَافِعِينَ وَتَفَانِيهِمْ فِي الدِّفَاعِ عَنْ مَدِينَتِهِمْ. لَقَدْ صَارَتِ الْمَدِينَةُ كُتْلَةً مِنْ نَارٍ وَأَلْسِنَةُ اللَّهَبِ تَرْتَفِعُ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَتَنْعَقِدُ سُحُبُ الدُّخَانِ فَوْقَهَا كَثِيفَةً تَحْجُبُ الرُّؤْيَةَ، وَوَابِلُ السِّهَامِ وَحِمَمُ النَّارِ تَنْهَمِرُ لَيْلَ نَهَارَ، وَقَدْ صَارَ النَّاسُ فِي أَرْذَلِ حَالَةٍ، وَالْمَوْتُ يَفْتِكُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ...».

كَانَ [صَلَاحُ الدِّينِ] يُصْغِي إِلَى الرَّسُولِ بِكُلِّ انْتِبَاهٍ، وَرَاحَ الرَّسُولُ بِدَوْرِهِ يَسْرُدُ عَلَى مَسَامِعِهِ دَقَائِقَ الْوَضْعِ وَتَفَاصِيلَ

مروان

المَعارِكِ الرَّهِيبَةِ حَتَّى أَفْرَغَ مَا فِي جُعْبَتِهِ مِنْ مَعْلُومَاتٍ، فَأَمَرَ [صَلاحُ الدِّينِ] بِعَقْدِ مَجْلِسِ حَرْبٍ فِي الحَالِ. وَعِنْدَمَا اكْتَمَلَ عِقْدُ أَرْكَانِ حَرْبِهِ جَالَ [صَلاحُ الدِّينِ] بِنَظَرِهِ فِي وُجُوهِهِم الوَاجِمَةِ فَرْداً فَرْداً وَقالَ:

- «الحَالُ صَعْبَةٌ! وَلٰكِنْ لَيْسَ مَيْئُوساً مِنْهَا، وَكَمَا يُقَالُ: الجَبَلُ مَهْمَا وَعَرَ دَرْبُهُ وَسَمَتْ قِمَّتُهُ فَلا بُدَّ أَنَّ طَرِيقاً يُؤَدِّي بِالصَّاعِدِ إِلَى أَعْلَى قِمَّتِهِ. وَالأَمْرُ يَتَطَلَّبُ مِنَّا التَّبَصُّرَ وَالصَّبْرَ وَتَمَالُكَ الأَعْصَابِ وَاسْتِنْبَاطَ الحِيَلِ حَتَّى نَتَمَكَّنَ مِنْ دَفْعِ الْمِحْنَةِ.

ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الرَّسُولِ وَسَأَلَهُ:

- هَلْ عَرَضَ الْمُدَافِعُونَ عَلَى العَدُوِّ الفِدْيَةَ لِقَاءَ خُرُوجِ الْمَدَنِيِّينَ مِنْ عَكَّا؟».

قَالَ الرَّسُولُ:

- «نَعَمْ يَا مَوْلَايَ! وَلِهٰذَا السَّبَبِ أَتَيْتُ، وَلٰكِنَّ الوَضْعَ البَائِسَ الَّذِي يُعَانُونَ مِنْهُ وَالْمَبَالِغَ الطَّائِلَةَ الَّتِي أَصَرَّ عَلَيْهَا العَدُوُّ وَلا قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى دَفْعِهَا جَعَلَنِي أُخَاطِرُ لِأُبْلِغَكُمْ ذٰلِكَ، وَهُمُ الآنَ عَلَى أَحَرَّ مِنَ الْجَمْرِ يَنْتَظِرُونَ نَجَاحَ مُهِمَّتِي».

أَمَرَ السُّلْطَانُ القَائِدُ [صَلاحُ الدِّينِ] بِالاهْتِمَامِ بِالرَّسُولِ وَسَلَّمَهُ إِلَى خَادِمِهِ لِيُكْرِمَهُ، فَخَرَجَ بِهِ الْخَادِمُ.

ثُمَّ الْتَفَتَ السُّلْطَانُ إِلَى أَرْكَانِ حَرْبِهِ وَقَالَ:

- «الْوَضْعُ لا يَحْتَمِلُ التَّأْخِيرَ، وَتَلْبِيَةُ طَلَبِ الأَهْلِينَ ضَرُورِيَّةٌ

وَمُلِحَّةٌ وَعَلَيْنَا أَنْ نُسْرِعَ فِي ذَلِكَ كَيْ لَا نَتَسَبَّبَ فِي الْمَزِيدِ مِنَ الضَّحَايَا...».

قَالَ أَحَدُ الْقَادَةِ:

- «الْمَعْرَكَةُ حَامِيَةٌ وَهِيَ تَدُورُ مِنْ حَوْلِ الْمَدِينَةِ الْمُحَاصَرَةِ، وَلَيْسَ مِنْ سَبِيلٍ لِإِيصَالِ الْمَبَالِغِ الْمَطْلُوبَةِ إِلَّا الْبَحْرُ، وَهُوَ الَّذِي يَعِجُّ بِسُفُنِ الْعَدُوِّ. وَالْمَسَافَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عَكَّا عَصِيَّةٌ عَلَى أَيِّ إِنْسَانٍ لِأَنْ يَقْطَعَهَا سِبَاحَةً. فَمَا الْعَمَلُ؟!».

سَادَ الصَّمْتُ مَجْلِسَ السُّلْطَانِ وَاسْتَطَالَ، لَكِنَّ أَحَدَ الْخَدَمِ تَقَدَّمَ مِنَ السُّلْطَانِ [صَلَاحِ الدِّينِ] وَهَمَسَ فِي أُذُنِهِ كَلَامًا انْفَرَجَتْ لَهُ أَسَارِيرُهُ وَهَتَفَ قَائِلًا:

- عَلَيَّ بِهِ! أَسْرِعْ وَأَحْضِرْ ذَلِكَ الشَّابَّ النَّصْرَانِيَّ فِي الْحَالِ!

غَابَ الْخَادِمُ فَتْرَةً وَجِيزَةً وَعَادَ بِرِفْقَةِ شَابٍّ مَفْتُولِ الْعَضَلِ شَدِيدِ الاعْتِدَادِ بِنَفْسِهِ...

انْسَحَبَ الْخَادِمُ وَغَابَ خَلْفَ بَعْضِ السَّتَائِرِ، وَتَهَيَّبَ الشَّابُّ مِنْ طَلْعَةِ السُّلْطَانِ فَانْحَنَى إِجْلَالًا وَقَبَّلَ الْأَرْضَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ لَا يُصَدِّقُ عَيْنَيْهِ بِأَنَّهُ هُوَ [عِيسَى الْعَوَّامُ] الصَّيَّادُ الْوَضِيعُ يُدْعَى لِلْمُثُولِ أَمَامَ السُّلْطَانِ الْمَهِيبِ الَّذِي طَبَّقَتْ شُهْرَتُهُ الْآفَاقَ!!

لَمْ يَفِقْ عِيسَى مِنْ ذُهُولِهِ إِلَّا عِنْدَمَا رَبَّتَ السُّلْطَانُ عَلَى كَتِفِهِ وَقَالَ:

- هَدِّئْ مِنْ رَوْعِكَ يَا بُنَيَّ! أُرِيدُكَ أَنْ تَقُولَ لِي هَلْ أَنْتَ وَاثِقٌ مِنْ مَقْدِرَتِكَ عَلَى السِّبَاحَةِ مِنْ هُنَا وَإِلَى مِيَاهِ عَكَّا؟!...

ابْتَسَمَ عِيسَى بِكَثِيرٍ مِنَ الأَنَفَةِ وَقَالَ:

- إِنْ أَرَدْتَنِي - يَا مَوْلَايَ - أَنْ أَبْلُغَ قُبْرُصَ لَبَلَغْتُهَا سِبَاحَةً، يَعْرِفُ صَحْبِي وَالصُّورِيُّونَ بِأَنِّي قَاهِرُ الْبَحْرِ.

قَالَ السُّلْطَانُ:

- «إِذَا كَانَ الأَمْرُ كَمَا تَقُولُ، فَلَكَ عِنْدَنَا مُهِمَّةٌ صَعْبَةٌ تَسْتَحِيلُ عَلَى أَقْوَى الرِّجَالِ، إِنَّ أَهْلَنَا فِي عَكَّا فِي مِحْنَةٍ وَعَلَيْنَا أَنْ نُوصِلَ إِلَيْهِمْ مَبْلَغاً مِنَ الْمَالِ ذَهَباً، وَلَيْسَ أَمَامَنَا - نَظَراً لِلْحِصَارِ الشَّدِيدِ - سِوَى سَبَّاحٍ فَرْدٍ يَسْتَطِيعُ تَنْفِيذَ الْمُهِمَّةِ دُونَ أَنْ يَتَنَبَّهَ لَهُ الْعَدُوُّ، فَمَاذَا تَقُولُ؟».

قَالَ عِيسَى:

- «مَوْلَايَ! شَرَفٌ لِي أَنْ تُوكِلَ إِلَيَّ مِثْلَ هَذِهِ الْمُهِمَّةِ، وَأَهْلُنَا فِي عَكَّا يُعَانُونَ الأَمَرَّيْنِ، دَعْوَتِي إِلَى ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْعَانِي حَتَّى أَبْلُغَ أَسْوَارَ عَكَّا، وَلَا هَمَّ إِنْ قَضَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ أَعْظَمُ شَرَفٍ يَحْلُمُ بِهِ عَرَبِيٌّ حُرٌّ».

دَمَعَتْ عَيْنَا السُّلْطَانِ [صَلَاحِ الدِّينِ] وَشَدَّ عَلَى يَدِ عِيسَى الْعَوَّامِ وَقَالَ لَهُ:

- «بَارَكَ ٱللَّهُ فِي أُمَّةٍ وَحَّدَ ٱللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِ أَبْنَائِهَا وَجَعَلَهَا كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ فِي أَثْنَاءِ مِحَنِهَا وَقَدْ وَحَّدَ مِلَلَهَا جَمِيعاً. سِرْ يَا

بُنَيَّ على بَرَكَةِ اللَّهِ. . . إِنَّ أَهْلَ عَكَّا بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى تَضْحِيَتِكَ وَلَسَوْفَ تُكْتَبُ لَكَ بِمَاءِ الذَّهَبِ».

ثُمَّ أُحْضِرَ جِرَابٌ مِنْ جِلْدٍ وَجُعِلَ فِيهِ الذَّهَبُ وَشُدَّ كَنِطَاقٍ فِي وَسَطِ عِيسَىٰ العَوَّامِ وَقَدْ اسْتَعَدَّ لِلْمُهِمَّةِ.

وَبَعْدَمَا وَدَّعَ السُّلْطَانَ، قَذَفَ عِيسَىٰ بِنَفْسِهِ مِنْ عَلَى صَخْرَةٍ عَالِيَةٍ فِي الْبَحْرِ وَرَاحَ يُصَارِعُ الْمَوْجَ حَتَّى غَابَ عَنِ الأَنْظَارِ، وَالْجَمِيعُ يَدْعُونَ لَهُ بِالتَّوْفِيقِ وَالنَّجَاحِ فِي مُهِمَّتِهِ الْمُسْتَحِيلَةِ.

***

رَاحَ عِيسَىٰ يُصَارِعُ الأَمْوَاجَ بِلاَ كَلَلٍ وَلاَ مَلَلٍ، وَلٰكِنْ لِسُوءِ طَالِعِهِ ثَارَتْ فِي أَثْنَاءِ اللَّيْلِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَعَلَتْ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ جِبَالاً أَمَامَهُ، وَانْخَفَضَتْ وِدْيَاناً، وَصَارَتِ السِّبَاحَةُ عَسِيرَةً جِدّاً، فَجَاهَدَ عِيسَىٰ بِعِنَادٍ، وَلٰكِنَّ الأَمْوَاجَ الْعَاتِيَةَ كَانَتْ تَتَقَاذَفُهُ، فَهِيَ حِيناً تَدْفَعُهُ إِلَى الْوَرَاءِ وَحِيناً إِلَى الأَمَامِ، وَهُوَ يَمْخُرُ عُبَابَهَا بِأَنَاةٍ وَصَبْرٍ. . .

***

كَانَتْ عَكَّا صَامِدَةً فِي وَجْهِ الْعَدُوِّ تُقَاوِمُ هَجَمَاتِهِ وَتَرُدُّهَا بِبَسَالَةٍ مُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ فَيَتَرَاجَعُ عَنْ أَسْوَارِهَا الحَصِينَةِ لِحِينٍ ثُمَّ يُعَاوِدُ مُهَاجَمَتَهَا بَعْدَ حِينٍ. . . وَهُمْ لاَ يُمَكِّنُوهُ مِنَ اقْتِحَامِهَا رُغْمَ ضَرَاوَةِ الْقِتَالِ وَهَوْلِهِ وَشَرَاسَتِهِ.

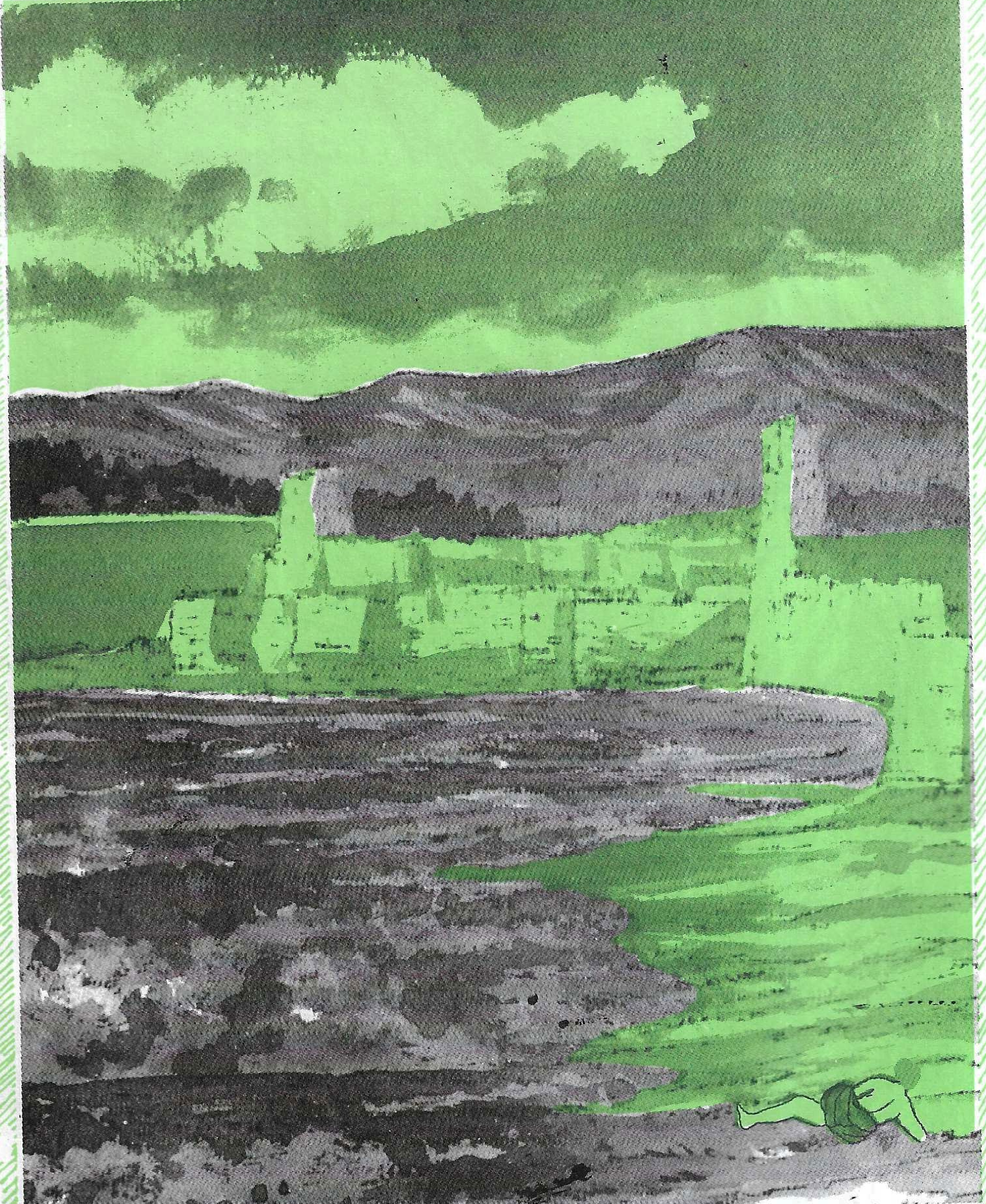

فِي ظَهِيرَةِ أَحَدِ الأَيَّامِ ، تَوَقَّفَ القِتَالُ لِالْتِقَاطِ الأَنْفَاسِ ، فَلَمَحَ حَارِسٌ مِنْ مَرْكَزِهِ عَلَى الأَسْوَارِ جُثَّةً مُلْقَاةً عَلَى رِمَالِ السَّاحِلِ ، فَنَادَى عَلَى صَاحِبِهَا لِيُعَرِّفَ عَنْ نَفْسِهِ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَتَلَقَّ جَوَاباً. وَكَرَّرَ ذٰلِكَ مِرَاراً دُونَ جَدْوَى، فَشَكَّ فِي الأَمْرِ وَأَعْلَمَ آمِرَهُ بِذٰلِكَ، فَأَمَرَ القَائِدُ بِإِحْضَارِ الجُثَّةِ لِإِسْعَافِهَا إِنْ كَانَ فِيهَا رَمَقٌ مِنْ حَيَاةٍ أَوْ لِدَفْنِهَا إِنْ كَانَ صَاحِبُهَا قَدْ هَلَكَ.

خَرَجَتْ مَفْرَزَةٌ مِنَ الجُنْدِ بِحَذَرٍ شَدِيدٍ، وَقَدْ كَانَ السَّاحِلُ خَالِياً مِنْ جُنُودِ العَدُوِّ، وَهَرَعَ رِجَالُهَا إِلَى الجُثَّةِ فَوَقَعَ نَظَرُهُم عَلَى صَلِيبٍ ذَهَبِيٍّ صَغِيرٍ يُزَيِّنُ صَدْرَ الشَّابِ فَهَتَفَ أَحَدُهُم:

- «هُوَ جُنْدِيٌّ إِفْرَنْجِيٌّ قَذَفَ بِهِ الْمَوْجُ إِلَى الشَّاطِىءِ».

***

تَمَعَّنَ آمِرُ الْمَفْرَزَةِ فِي وَجْهِ الشَّابِ فَوَجَدَهُ أَسْمَرَ لَا يُشْبِهُ وُجُوهَ الإِفْرَنْجَةِ وَلَفَتَ نَظَرَهُ النِّطَاقُ الغَرِيبُ الَّذِي يُطَوِّقُ خَصْرَهُ فَعَالَجَهُ بَعْدَ فَكِّهِ فَإِذَا بِالذَّهَبِ يَتَسَاقَطُ مِنْهُ، وَفَضَّ جَمِيعَ مُحْتَوَيَاتِهِ فَإِذَا بِرِسَالَةٍ تَسْقُطُ مِنْهُ أَيْضاً، وَعَلَيْهَا خَاتَمُ السُّلْطَانِ فَقَبَّلَهَا وَأَمَرَ بِالْعَوْدَةِ إِلَى مَا وَرَاءَ الأَسْوَارِ. . .

حَمَلَ الرِّجَالُ الجُثَّةَ عَلَى عَجَلٍ وَأَسْرَعُوا يَتَسَلَّقُونَ الأَسْوَارَ وَهَرَعَ آمِرُ المَفْرَزَةِ بِالرِّسَالَةِ وَالْمَالِ إِلَى القَائِدِ لِيَفُضَّ خَتْمَهَا وَيَقِفَ عَلَى مُحْتَوَيَاتِهَا. . . فَإِذَا بِهَا أَوَامِرُ السُّلْطَانِ بِالقَبُولِ بِدَفْعِ الفِدْيَةِ عَنِ الْمَدَنِيِّينَ الأَبْرِيَاءِ وَبِالصُّمُودِ فِي القِتَالِ . . .

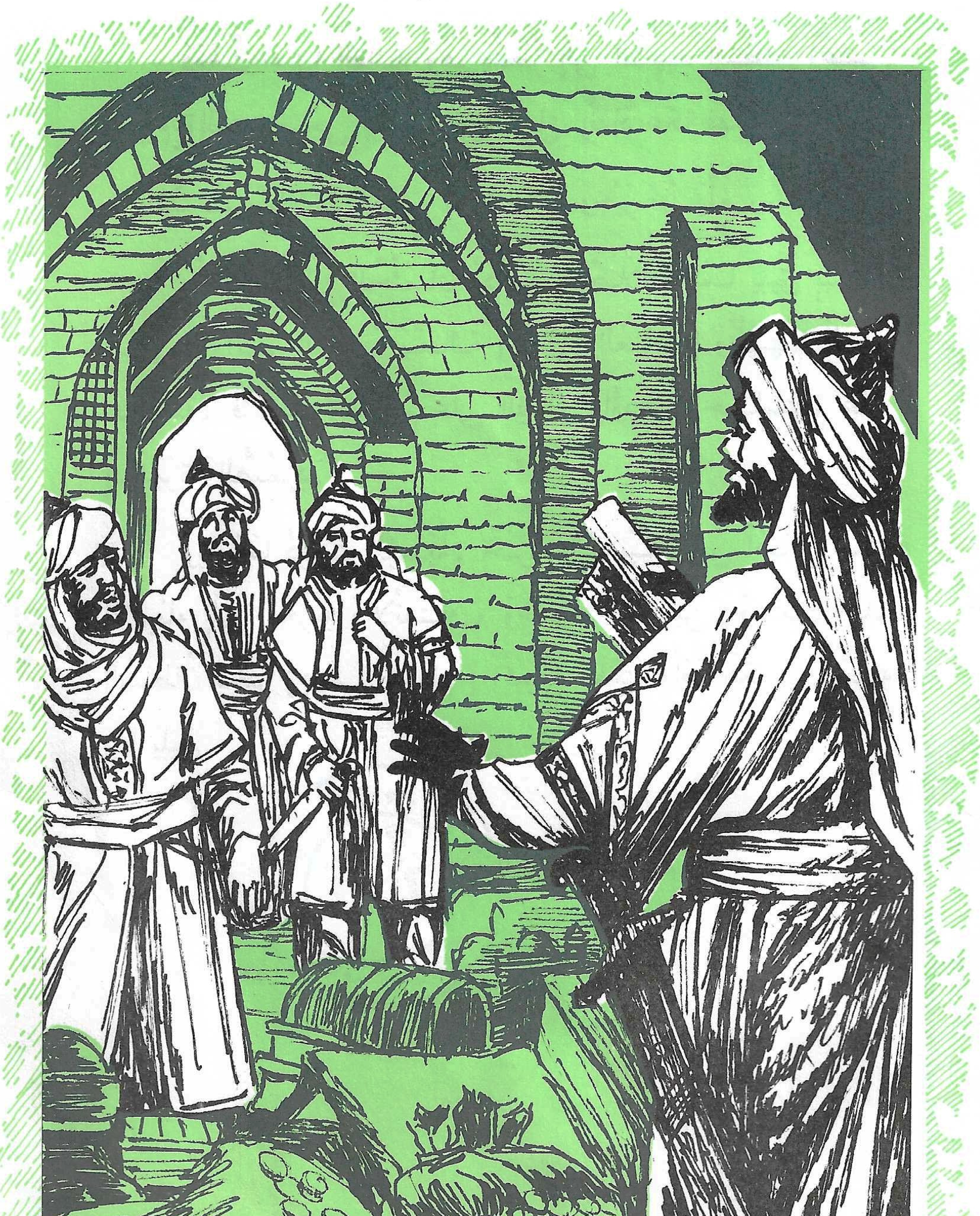

دَمَعَتْ عَيْنَا القَائِدِ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَى الشَّهِيدِ البَطَلِ [عِيسَى العَوَّامِ] الَّذِي ضَحَّى بِحَيَاتِهِ فِي سَبِيلِ إِنْقَاذِ عَكَّا فَهَتَفَ قَائِلاً:

- «لَقَدْ كُنْتَ يَا أَخَا العَرَبِ بَطَلاً قَوْمِياً وَخَيْرَ مَنْ بَلَّغَ رِسَالَةً!».

وَأَمَرَ بِحَمْلِ الجُثْمَانِ وَدَفْنِهِ بِإِجْلَالٍ كَمَا يَلِيقُ بِبَطَلٍ قَوْمِيٍّ. وَأَكْبَرَ الجُنُودُ بَسَالَةَ [عِيسَى العَوَّامِ] وَأَلْهَبَهُمْ ذَلِكَ حَمَاسَةً، فَثَارَتْ حَمِيَّتُهُمْ عَلَى القِتَالِ وَازْدَادَتْ حَمَاسَتُهُم عَلَى الْمُثَابَرَةِ وَالصُّمُودِ.

وَبَعْدَمَا دُفِعَتِ الفِدْيَةُ، خَرَجَ المَدَنِيُّونَ مِنْ أَهَالِي عَكَّا الأَبْرِيَاءِ إِلَى الحُرِّيَّةِ وَالانْعِتَاقِ، وَغَادَرُوا سَالِمِينَ. وَعِنْدَمَا عَلِمَ السُّلْطَانُ بِخَبَرِ [عِيسَى العَوَّامِ] أَكْبَرَ شَجَاعَتَهُ وَأَمَرَ بِتَكْرِيمِ أُسْرَتِهِ بِمَا يَلِيقُ...

الجمهورية التونسية ★ وزارة الثقافة ★ المكتبة العمومية للأطفال

أسئلة حول النص

١ - لقد استمتعتَ بقراءة القصّة، أجب إذاً على الأسئلة التالية:

o ما الذي عرفته عن عيسى العوّام؟

....

o من هو القائد الذي كان يحارب العدوّ في فلسطينَ؟

....

o هل استطاعت مدينة عكا الصمودَ؟

....

o ما هي المهمّةُ التي أوكلها صلاح الدين إلى الصيّادِ؟

....

o هل نجح عيسى في إتمام ما أُوكِلَ إليه؟

....

o كيف كانت النهاية في مدينة عكّا؟

....

٢ ـ ضع الكلمة المناسبة في مكان النقط من الجمل التالية:

- بعد أنْ .... شباكَه على................ الساحلِ .
- وكان .... في صدر عيسى .... إلى المساهمةِ.
- علّهُ .... إلى حلٍّ .... الكبرى.
- هل عرضَ .... على العدوِّ ....؟
- بارك الله في .... وحّدَ الله بين .... أبنائها.

٣ ـ الأسماء التالية ممنوعة من الصرف، اذكر عِلّةَ منعها:

- فلسطينَ: ....
- ريتشاردَ: ....
- أسمَرَ: ....
- صورَ: ....

٤ - هاتِ المثنّى والجمع للكلمات التالية:

الكلمة	المثنى	الجمع
نَعْتٌ	....	....
رَأْسٌ	....	....
غازٍ	....	....
سَهْمٌ	....	....
ستارٌ	....	....
أُفُقٌ	....	....
مِحْنَةٌ	....	....

٥ - اذكر أسماء الشخصيات التي تذكرها في موضوع القصّة.

....

....

....

٦ ـ هاتِ مفرد كل كلمةٍ من الكلماتِ التالية :

o الشَّتائِم :	o محتويات : ....
o ألسِنَةُ :	o الأسوارُ : ....
o هُنَيْهات :	o الأمواجُ : ....

٧ ـ هاتِ مؤنث أو مذكر كل كلمة من الكلمات الآتية :

الكلمة	المؤنث	المذكّر
الأسدُ	....	....
أخُ	....	....
بريءُ	....	....
بَلْدة	....	....
النساء	....	....
الرّسولُ	....	....

٨ - ضع كل كلمة من الجمل المذكورة في العمود المخصّص لها من الجدول:

- نهضَ الرسولُ وقد استعادَ.
- الحالُ صعبةٌ وليستْ مستحيلةً.
- ثمَّ التفتَ إلى الرسولِ.

حرف	اسم	فعل
....	....	....
....	....	....
....	....	....
....	....	....
....	....	....

وزارة الثقافة ★ الجمهورية للثقافة ... المكتبة ... للأطفال ...

٩ - ما هي العبرة من القصة التي قرأت، أوجز ذلك في عبارات قليلة.

....

....

....

١٠ ـ ماذا قال صلاح الدين لعيسى العوّام عندما قبلَ بتنفيذِ المهمة؟

....

١١ ـ سمِّ ثلاث مدن مرّت بك في أثناء قراءتك.

....

١٢ ـ إئتِ بفعل الأمر من الأفعال التالية:

- فازَ: .... ○ كالَ: ....
- أصغَى: .... ○ أمَدَّ: ....
- غزا: ....

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ. - ١٩٩٦م

الجمهورية العربية السورية ★ وزارة الثقافة
المكتبة العربية للأطفال

دار الحرف العربي
للطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب ٦٤٨٠ - ١١٣
بيروت - لبنان

دار المناهل
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

DAR EL-MANAHEL • BEIRUT - LEBANON

هاتف: ٨١٤٧١٦ - ٨١٤٦٩٧ - ٨١٨٦٠٠ (٠١) • فاكس: ٦٤٤٥٢٨ (٠١) • ص.ب: ٥٦٤٥ / ١٤

TEL.: (01) 814716 - 814697 - 818600 • FAX: (01) 644528 • P.O.BOX: 5645/14

سلسلة قصص مشرقية

الحياة سلسلة من القصص اللامتناهية، التي تحدث لنا وللآخرين. قصص حدثت في الماضي، وقصص تحدث الآن وأخرى ستحدث في المستقبل.

لكل ما يحدث في هذا العالم معنى ومغزى، لو تمكّنا من الوصول إليه لأفادنا وساعدنا في أن نجعل قصة حياتنا أفضل وأجمل.. فكل شخصٍ منّا هو بطل في قصة.

صدر من هذه السلسلة:

- حيل الملوك
- الشاهد حجل
- حاجب السلطان
- الزبّاء ملكة الجزيرة
- الأعرابي المتشرد، أميراً
- شهامة الأمير
- كريم بغداد
- حكم القدر
- راهن القوس
- عصا الفتى التغلبي
- شجاعة حامل الأمانة
- امانة تاجر من حلب

دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع

دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع